﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٩٩﴾

[آل عمران: 99]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

أمرٌ بتوبيخهم على الإضلال، إثرَ توبيخِهم على الضّلال

لَمَّا أنكر الله تعالى على اليهود في الآية السَّابقة كفرَهم وضلالهم في أنفسهم، وقد سعوا في إضلال المؤمنين؛ أنكر الله تعالى عليهم ذلك في هذه الآية؛ لجمعهم بذلك بين الضَّلال والإضلال، والكُفر والتَّكفير[1]، وقال لهم: كيف سوّلت لكم أنفسكم محاولة صرف مَن آمن بالله ورسوله، عن سبيل الله القويمة، وتصويرها معوجّة، افتراء على الله العظيم، ودينه المستقيم، وأنتم تعلمون أنّها حقّ صراح لا ريب فيه، ولا ريب أنّ ضلالكم وتضليلكم، لا يخفى على الله، وما هو بغافل عنه،، وسوف يجازيكم بعدله ما تستحقّونه من جزاء[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَصُدُّونَ﴾: مضارع صدَّ فلانٌ غيره؛ إذا صرَفَه، ومنعه، وصدَّ يجيء متعدِّيًا: كما في الآية، ويكون معناه: صرف الآخر ومنعُه، ويجيء لازمًا: كما في قوله تعالى: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ٦١﴾ [النّساء: 61] ويكون معناه: الانصراف والامتناع عن الشَّيء[3]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ٥٧﴾ [الزّخرف: 57]، "أي يضجّون ويعلون أصواتهم، سرورًا بأنّهم ظفروا على زعمهم بتناقض، فيعرضون به عن إجابة دعائك، يقال: صدّ عنه صدوداً:

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 3/279، والبقاعيُّ، نظم الدُّرر: 5/11.
(2) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم: 5/11.
(3) أبو حيَّان، البحر المحيط: 3/279.

أعرض، وصدّ يصُدّ ويصِدّ: ضجّ، قاله في القاموس، فلذلك قال ابن الجوزيّ: معناهما جميعا، أي قراءة ضمّ الصّاد وقراءة كسرها، يضجّون، ويجوز أن يكون معنى المضمومة: يعرضون، قال ابن برجان: والكسر أعلى القراءتين"[1].

2) ﴿تَبْغُونَهَا﴾: مضارع بغيتُ الشّيءَ؛ إذا طلبتُه، ويقال: ابغِني كذا، أي: اطلبْه لي، فالمعنى: تطلبون لها العِوَج، وقيل: إنَّ (بغيت) هو طلب التَّجاوز في الشّيء، وهو على ضَربين: محمود: وهو تجاوز العدل إلى الإحسان، والفرض إلى النَّافلة، ومذموم: وهو تجاوز الحقِّ إلى الباطل، وهو المقصود في الآية؛ ولذا قُيِّد في قوله تعالى: ﴿وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الشّورى: 42][2] قوله: ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾، يعني: تبغون لها عوجًا، والهاء والألف اللّتان في قوله: ﴿تَبْغُونَهَا﴾، عائدتان على(السّبيل)، وأنّثها لتأنيث (السّبيل)، ومعنى قوله: (تبغون لها عوجًا)، من قول الشّاعر، وهو سحيم عبد بني الحسحاس:

بَغَاكَ، وَمَا تَبْغِيهِ حَتَّى وَجَدْتَهُ ***كَأَنَّكَ قَدْ وَاعَدْتَهُ أَمْسِ مَوْعِدَا

يعني: طلبك وما تطلبه، يقال: (اِبْغِنِي كَذَا)، يراد: ابتغه لي، فإذا أرادوا أعِنِّي على طلبه وابتغه معي، قالوا: (أَبْغِنِي) بفتح الألف[3].

3) ﴿عِوَجًا﴾: العِوج والعَوج: هو ميل الشِّيءِ، وهو يكون بكسر العين؛ إذا كان معنويًّا، كالميل في الآراء والأدلَّةِ ونحوها، ومنه قوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزّمر: 28]، وبفتحها؛ إذا كان حسِّيًّا، كميل الجدار والعصا، إلَّا الأرض، فإنَّه يقال: فيها عِوج: بكسر العين، ومنه قوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ۝١٠٧﴾ [طه: 107]، وقيل: العِوج - بالكسر- يكون في الدِّين وما يكثُر فيه العِوج كالأرض، وبالفتح في غيرهما[4]، والمعنى في قوله: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: 45]: "أي الّذين كانوا في الدّنيا يمنعون النّاس عن اتّباع دين الله، ويبغون أن تكون السّبيل معوجّة غير مستقيمة، حتّى لا يتبعها أحد".

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر، 17/455.
(2) الرّاغب، المفردات: (بغى).
(3) ابن جرير، جامع البيان: 6/53.
(4) الأزهريُّ، تهذيب اللّغة: (عوج)، وابن عطية، المحرر الوجيز: 1/481.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

سؤال استنكاريٌّ عن الصّدود والاعوجاج، مع شهود الصّدق، ورقابة الحقّ

قل لهم أيُّها النَّبيُّ: يا أهل الكتاب لمَ تصرِفون النّاس عن سبيل الله تعالى، وهو سبيل النّور والحقّ، وهو الصّراط المستقيم الّذي يوصل إلى رضاه سبحانه، ويحقّق ما جاء به نبيُّه ﷺ، تريدون بذلك أن تكون سبيل الله معوجَّة، ملتوية غير واضحة ولا بيّنة، في أعين المهتدين، وأنتم شهداء على أنَّ هذا الدِّين هو الحقُّ، وقد قابلتم ذلك بالجحود عن علم، والإيغال في الكفرعن إصرار، والصّدّ عن سبيل الله عن مكر وخداع، وليس الله بغافل عن عملكم هذا، من الكفر بالإسلام، والسّعي إلى تكفير النَّاس به، وسيجازيكم عليه جزاء وفاقًا..

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

سبب الفصل بين الخطابَين:

الفصل يدلُّ على استقلال المفصول بالقَصد

لم يُعطف قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾ على الخطاب السَّابق - مع ما بينهما من الاتِّصال -؛ للدّلالة على استقلال كلِّ خطاب بالقصد، وأنَّ كِلا الأمرين الواقعَين في حيِّزهما مستحقٌّ - على انفراده واستقلاله - لاستتباع اللَّوم والتَّقْريع[1].

دلالة تكرير الخطاب في سياقٍ واحدٍ:

تقريعُ المخاطَبين مرَّةً على الكُفر ومرَّةً على الصَّدِّ عن سبيلِ الله

كرَّر الله تعالى خطاب أهل الكتاب بواسطة نبيِّه ﷺ في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾، فوائد عدَّة:

أوَّلًا: الاستنكارُ عليهم في صدِّهم عن سبيله تعالى، وفي تكرار الخطاب والاستفهام مبالغةٌ في تقريعهم، ونفي العذر عنهم[2].

ثانيًا: الدّلالة على استقلال كلٍّ من الكفر بآيات الله تعالى والصَّدِّ عن سبيله باللَّوم والتَّوبيخ عليه، وحريٌّ باستجلاب عذاب

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/25.
(2) البيضاويُّ، أنوار التنزيل: 2/30.

اللّه وعقابه؛ إذ لو قيل: لمَ تكفرون بآيات اللّه، وتصدُّون عن سبيل اللّه لربَّما تُوهِّمَ أنَّ التَّوبيخ على مجموع الأمرين، لا على كلٍّ واحد منهما[1].

ثالثًا: الخطاب بأهلِ الكتاب إشارةٌ إلى أنَّ عمل المخاطَبين هو غاية في القبح؛ إذ إنَّ هذا العنوان كما يقتضي الإيمان بما هو مصدِّق له يستدعي التَّرغيب في اتِّباعه والدَّعوة إليه، فصدُّهم عنه وعن سبيله هو غايةٌ في القبح والظُّلم[2].

تكرار الخطاب أدعى إلى صدِّ المخاطَبين عن ضلالهم

وقيل: إنَّ تكرار الخطاب بعنوان أهليَّة الكتاب فيه تلطُّفٌ في صرف المخاطَبين من أهل الكتاب عمَّا هم عليه من الضَّلال والإضلال؛ لما فيه من التذكير بما ينبغي أن يكونوا عليه من الإيمان باللّه تعالى وجميع رسله وكتبه[3].

استعارةُ السَّبيلِ للأدلَّةِ الموصلة إلى دين الإسلام:

أهلُ الكتابِ هم قُطَّاعُ الطَّريق الموصلةِ إلى الإسلامِ

في قوله تعالى: استفهام إنكاريٌّ توبيخيٌّ ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، واستعارة مكنيَّة: حيث شُبِّهت الأدلَّة الموصلة إلى دين الإسلام بالمجاز المستعمَل حقيقة في الطَّريق، وحُذف المشبَّه وأقيم المشبَّه به مكانَه، وفي هذه الاستعارة تنبيه على أنَّ بعض النَّاس قد يقف عقبة في طريق طلب الهداية، فيقوم مقام قاطع الطَّريق بما يورده عليه في طريق هدايته من قواطعِ الشَّهوات والشُّبُهات[4].

دلالة تقديم المتعلَّق في قوله: ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ﴾:

غرضُ التَّقديم تسليطُ استنكارِ الصَّدِّ عن سبيلِ الله

في قوله تعالى: ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ﴾ قُدِّمَ المتعلَّقُ – وهو ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ – على المفعول به، وهو ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾، ومقتضى الظَّاهر: لمَ تصدُّون من آمن عن سبيل اللّه، وتقديم المتعلَّق

(1) الآلوسيُّ، روح المعاني: 2/232.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 2/63.
(3) الرّازي، مفاتيح الغيب: 8/308.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/26.

هنا يدلُّ على الاهتمام به، والإشارة إلى أهميَّته في الخطاب[1]، إذ المُستنكَرُ هو صَدُّهُم عن سبيلِ الله تعالى، فغرضُ التَّقديم تسليطُ الإنكار على صدِّهم عن سبيلِ الله تعالى.

توبيخ المخاطَبين لصدِّهم عن سبيلٍ هي لله

دلالة إقامة الظَّاهر مُقام المضمَر في قولِه: ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾:

وفي قوله تعالى: ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إقامة للاسم الظَّاهر - وهو ﴿ٱللَّهِ﴾ - مقام الضَّمير، ولو قيل في غير القرآن: عن سبيلي؛ لصحَّ ذلك، وفي إيراد الاسم العظيم في هذا الموضع إنكار على المخاطَبين من أهل الكتاب وتقريع شديد لهم؛ إذ الأحرى بهم بدلًا من الصَّدِّ عن سبيل الله تعالى - المختصِّ بجميع صفات الكمال والجلال - أن يتَّبعوا هذه السَّبيل، ويرغِّبوا النَّاس فيها[2].

بلاغة الاستخدام في ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ و﴿تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾:

سبيل الله مستقيمة، وسُبل الكافرين مُعْوَجَّةٌ

وفي قوله تعالى: ﴿تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾ نوع من المحسِّنات البديعيَّة المعنويَّة، وهو الاستخدام[3]: حيثُ سبق ذكر السَّبيل في قوله تعالى: ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ مرادًا بها السَّبيل المستقيمة، ثمَّ أُعيد الضَّمير في: ﴿تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾ على السَّبيل التي يريدها الصَّادُّون عن سبيل الله من أهل الكتاب، وهي ما هم عليه من الدِّين بعد نسخه وتحريفه[4].

دلالة الجملة الحاليَّة: ﴿وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ﴾:

المقابلة بين الشهادتين في الآيتين شهادةِ الله، وشهادةِ أهل الكتاب

جاءَ قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ﴾ جملةً حاليَّةً مقابلةً للجملة الحاليَّة في الآية المتقدِّمة من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ﴾، وفي هذا نوع من المحسِّن البديعيِّ المعنويِّ، حيث قُوبل بين

(1) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 5/11.
(2) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 5/11.
(3) ويُقصد به: إطلاق لفظ مشترك بين معنيين مرادًا به أحدهما، ثم إعادة الضمير عليه مرادًا به المعنى الآخر، يُنظر: السِّيوطيُّ، شرح عقود الجمان، ص: 116.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/27.

الحالين، وشهادة الله ﷻ ليست كشهادتهم إلا من حيث الاسم، وإلا فهو تعالى الشهيد المحيط بكلِّ شيء علمًا، ومثلهما في المقابَلة قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البقرة: 14 - 15][1].

بلاغة ختم الآية بقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾:

في ختام الآية تذييلٌ متضمِّنٌ التَّهديدَ والوعيدَ

قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ ختم الله تعالى به هذه الآية مع أنَّه قد تقدَّم في الآية السَّابقة قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ﴾؛ توكيدًا لإحاطته بجميع ما يعمله الصادُّون عن سبيله تعالى، ولما كان صدُّهم عن سبيل الله بطريق الخُفية والمكر هدَّدهم سبحانه بإحاطة علمه بكلِّ شيء، وعدم غفلته عمَّا يعملون سرًّا أو جهرًا، وهو في التَّهديد والوعيد كقول السيِّد لعبدِه، وقد أنكر عليه: لا يخفى عليَّ ما أنت عليه، ولست غافلاً عن أمرك[2].

نفيُ الغفلةِ احتراسٌ لأنَّ الشَّاهد على الشَّيء قد يغفل عنه

وفي نفي الغفلة عن الله تعالى تنزيه له جلَّ وعلا عن الغفلة عن عظيم الأمور ودقيقها؛ لأنَّ سواه تعالى من الشُّهداء قد تقع منه الغفلة، فنزَّه تعالى نفسه عنها - لَمَّا كانت حال هؤلاء الصَّادِّين عن سبيله حال من يعتقد ذلك - ونبَّه على اطِّلاعه على خفيِّ مكرهم في الصَّدِّ عن سبيله تعالى[3].

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

العِوَج والعَوج:

العِوَج في قوله تعالى: ﴿تَبۡغُونَهَا عِوَجًا﴾ هو بكسر العين، ولا يصحُّ فتحها لغة؛ إذ العِوَج بالكسر خاصٌّ بالأمور المعنويَّة كالدِّين والكلام والعمل، فهو كناية عن عدم الاستقامة فيها، والحيدِ بها عن الطَّريق القويم.

العِوج بالكسر ميل معنويٌّ، وبالفتح ميل حسِّيٌّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/27.
(2) الرّازي، مفاتيح الغيب: 8/308، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/64.
(3) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 5/13، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/27.

أمَّا العَوج بفتح العين؛ فهو خاصٌّ بالأمور الحسِّيَّة كالحائط والجذع ونحوهما ممَّا يُدرك ميله بالحسِّ، ولا يُحتاج فيه إلى التأمُّل، وقوله تعالى في وصف الأرض يوم القيامة: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ۝١٠٧﴾ [طه: 107] هو استثناء من هذه القاعدة، فلا يُقاس عليه[1].

(1) الزَّجَّاج، معاني القرآن: 2/354، وأبو حيَّان، البحر المحيط: 3/260.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»